

## القهوة ...

بحث اجتماعي في المقاهي العامة

للأديب عبد المعطى المسيرى

في البلد نوعان من المدارس ، أحدهما للصغار ، والآخر للكبار ...  
أنتهى الأول لهذيب وتنقيف طلابه ، وأعد الثاني تساية وتلبية ورواده ...  
فأما الأول فهى " المدرسة " بالمعنى المألوف ، وأما لىسمى فهى " القهوة " التى  
شاعت وتفتت في هذا العصر تفشيا ذريعا يذو إلى العناية بأمرها ، والظر في أثرها .  
وقد انزرى المصلحون للاهتمام بأمر " المدرسة " فرسموا لها المناهج ووضعوا لها البرامج ،  
وما يزالون دائمين عامين على السير بها من إصلاح إلى إصلاح ، ملحين عليها بالبحث  
والدراسة والاستقصاء ، عن حين حرمت المدرسة الثانية وأغنى بها " القهوة " ممن يعنى  
بأمرها ، وينظر في نفاقم خطرها .  
وقد خطر لى أن أكتب دراسة عن " مشكلة القهاوى " راجيا أن يعترها المصلحون  
تمريدا وبداءة ودانعا لهم على النظر في أمر " القهوة " والمانية .  
ولكن شفىى فى الكلام عن " القهاوى " ننى " قيبو جو " أعرف أكثر من غيرى  
ما للقهوة من خطر واهلها من أثر على الصحة والنقل والخبب ، وعلى الأسمرة والوطن ،  
فقد لست ذلك عن كسب ، وكل مبسر لما خلق له .

### مشكلة القهاوى :

تذاقس القهاوى تنافسا عظيما فى ابتكار وسائل التسلية . وهى لى تنفوز بنة روادها  
وتضمن ترددهم لا تجل عليهم بكل ما من شأنه تلهيتهم عن الوقت ومعاونتهم على تضييعه ،  
هن راديو - براديو القهوة برحين واحدة لىقل لإذاعة والأخرى للإسطوانات الخاصة  
بالقهوة - الى فنين آخرين عديدة مختلفة من دوات اللعب . كالأصولية والودومينو والشطرنج  
والورق ... وما إلى ذلك ، وأفضل القهاوى لدى السامرين من حازت قسب السبق  
فى هذا المضمار ، وليس ثم اعتراض على تفنن " لقهوة " فى مائة لىبار على تزجية فراغهم  
لو كان الأمر ، أمر فراغ بالمعنى المألوف ، ولكم . طريقة واحدة للاستغناء وطاحونة لانتى  
ولا تنقتر عن الدوران ، أثناء الليل وأطراف النهار ، قفى أية ساعة تسمع المايعة والغتاب  
والأزبن ، وتشهد حلقات اللعب عامرة باللاعبين ، فهذا طاب كان ينبغى أن يكون فى ميواده

أغوته القهوة بخلس ينصت إلى أنات المنين . وذلك عامل ألماه عن عمله إغراء اللعاب له بالتمرج أو المشاركة ، وآخر عاطل كان أولى به أن يلجح في طلب العمل والبحث عنه ولكنه يؤثر الجلوس على إفريز القهوة كأنما على العمل أن يبحث عنه ويحضر إليه ! وهكذا يمر الوقت وينساب كالماء دون أن يفطن إليه ، أو يقدي أحد على صده ، فالقهوة حين تيسر لرائدها ضياع الوقت يزعم وتزعم أنها أحسنت إليه مع أنها سلبته أعز شيء في الحياة ، وهل أعز من الوقت ؟ فيه تكمن الفخرص ، وبه يحقق الإنسان ما يشاء أو ما يستطيع ، تستطيع الجهود أو الحظوظ أو الأقدار أن تعوض الإنسان ما تقدمه ، ولكنها جميعا تنف عاجزة عن أن ترد إليه نائسة واحدة من الوقت ، فأي شيء أعز من هذا الذي إذا فقد لا يرد ولا يعوض ؟ والوقت كباقي المسائل الكبرى مثل الشمس والهواء والماء جهابها أنه اشتراكية ينعم بها الجميع ، فكما أن الشمس تلقى أشعتها على القصر الشاهق إذ هي في نفس الوقت تعاقب الكوخ الخفير ، وكذلك الوقت فساعة المناهب المجد هي ساعة المنكس الكسول ولكن الأول يدرك خطرها فلا يدعها تمر بدون أن يفيد من دقائقها ونوائبها بينما الثاني يستدمخ الحذق ليتسنى له بمثرتها ، ومن ثم كان فلان الجليل و فلان الذليل .

ورب معترض يقول : وماذا يعمل العاطل إن لم يجلس في القهوة ؟

ولكني أقول له : من الخير أن يكون هذا العاطل فرصة يفكر فيها في حاله وفي ظروفه وفي نفسه ، إما أن يتوارى عن الأنظار ويقتعد في القهوة التي تلهيه وتلهيه وتمون عليه الأوسر فهذا من البت بمكان . وجباية القهوة عليه لا تنق عن حنايتها على الطالب أو العامل بحال .

أما جباية القهوة على الصحة فواضحة وليست بحاجة إلى تدليل ، فلولم تكن "القهوانى" بهذه الكثرة وعلى هذا النحو من الإغراء لكان في الرياضة غنى للسامعين عنها وتمتصوا بعض الوقت في ممارسة الألعاب الرياضية ولربح الوطن من وراء ذلك أجساما فنية قوية يعتمد عليها في حق الذمار ، ويفخر بها عدد منارة الرجال بالرجال ، وتدع الرياضة وتنتظر في أسر هذا المسكين الذي يتقبع الساعات على كرسية داخل "القهوة" يتنفس هواءها المزوج بخان الشيثة والمذاائب هذا فينبلا عما يتازحه ويعيش به من ميكروبات الأمراض المختلفة والعلل المتباينة .

وهكذا تؤثر القهوة على المرء فتبعثر وقته وهو رأس ماله وتنهك صحته وهو عماده . ثم تسبى إلى عقله ، وليست أقصد الإشارة إلى ما تحديه ضميرناؤها فحسب ، ولكني أشير إلى هذا الجيش العرصرم من الأدهيين الذين كانت أولى بهم مدارس ليلية تعالج إطلافيهم من أثر

الجهل ، ثم إلى هذا العدد العظيم من أنصاف وأرباع المتعلمين الذين تصدّمهم " الفهوة " عن محاولة استكمال ما ينقصهم لأنهم لا يجدون الوقت الذى يتسع لذلك ، أو بعبارة أخرى لا يجدون الفرصة التى يتشبهون فيها إلى ما يكتشفهم من ظلام ، والفهوة تتفقههم من البيت ليذهبوا فى جوفها ثم تردهم ثانية إلى البيت لينموا وهكذا على التوالى .

ويبقى أن لا تغفل أمر الكثيرين الذين ينفقون يومياً بضعة قروش فى التفهوه على حين هم فى أشد الحاجة إليها ، فهاته القروش تكفى لأن تظهرهم بمظهر حسن أو تفى بنفقات تعليم ابن لهم أو تضاف إلى ثمن الطعام فتجعله أكثر غذاءً وأحسن طعماً ، فإن لم يكن شيء من هذا فقد تتجمع منها ثروة لا بأس بها .

أقول ذلك لأنى أعرف أن لفتقات الفهوة ضد الطبقات الفقيرة ميزانية خاصة من الخير اعتادها للشؤون الأخرى .

وننتقل إلى خطر الفهوة على " البيت " وهو من أشد الأخطار عصفاً بالأمر والأخلاق ، فالقهوة تقيم من نفسها حاجراً أو هوة بين الرجل وبينه تأخذه من البيت عند تيقظه فلا تترده إليه إلا عند احتياجه إلى النوم ، وما أكثر هؤلاء الذين لا يعرفون الطريق إلى بيوتهم إلا إذا أشار جندي البوليس بوجود ذلك ، وهكذا تحرم الأسرة من السرور مع عائلتها فتحرم بذلك من البهجة والفرح وتحرم مما هو أشق من ذلك ، تحرم من نظر الرجل لمختلف شؤونها بيت فى هذه الشؤون ارتجائاً دون درس وتخصيص وأين هى الفرصة التى تمكنه من ذلك وهو لا يرجع إلى بيته إلا موهن الأعصاب ، محطم الكيان لا يفكر إلا فى النوم والراحة .

ومن ثم كانت الفهوة الفاصل بين الرجل والمرأة فلا تنالها تبيح للمرأة الاختلاف إليها ولا هى تدع الرجل لأمره ، فلو لم تكن " الفهوة " لعنى الرجل بيته وهياً له وسائل التسلية التى تلائمه والسمر مع أسرته ، وبذلك تتساح بيوتنا الفرصة المشدودة ، وتظفر بالنعيم الضائع وينشأ من ذلك التأفف ، فيرشد الرجل المرأة وتنصح هى له ، ويشهر أولادنا بجو العائلة وما يمكن ويشجع به من هاء وضاء .

هذا هو الداء .

وأما العلاج فله وسيلتان :

الوسيلة الأولى هيئة لينة تتشقى مع الديمقراطية ومع كل ما نبغيه وندهى إليه من إرشاد وإصلاح ، وهى أن نكثر من الأندية الرياضية مع تيسير الالتحاق بها وجعلها فى متناول كل شخص ، وكذلك تعنى وزارة - الشؤون الاجتماعية بالاشتراك مع وزارة المعارف العمومية والجمعيات الخيرية بإنشاء المدارس الأولية بعضها لتعليم المبتدئين والأخرى لترقية المتعلمين .

هذا مع الدعاية اللازمة لترغيب الجمهور في الثقافة والرياضة، فإن أجدت هذه الوسيلة أخذنا بها وإن لم يثبت نفعها فليس من بأس علينا من استبدال اللين بالشدّة والنسوة التي يصحبها الخير أنفع من اللين الذي ينطوى على الشر .

علينا أن نلجأ الى سن قانون يقضى بمنع الجلوس في القهاري الا في ساعات معينة في الليل أو في أيام المواسم والأعياد أو في أوقات الفراغ بالمعنى الصحيح . ولئن محرم الناس من بعض ملاهم وينسروا على ذلك خير ألف مرة من تركهم يتخبطون في دياجير الجهل معرضين لنزائب الأمراض الجسمية والحلقية .

ولكن انا أسوة في نهج بعض الأمم في هذا الشأن ، فقد علمت أن أممًا في مقدمتها بريطانيا لا تعرف "القهاري" على النحو الشائع عندنا . صحيح أن هناك قهاري ولكنها معدة لتناول الشاي فقط لا للجلوس وتضييع الوقت ، هناك يدخل الشخص ليشرب ما يشتهي ثم يسارع بالذهاب الى شأنه ، حتى إن أكثر القهاري ليست بها مقاعد ، وما حاجة المرء للقعد وهو يرضن بوقته ولا يسمح للقهوة أن تستنزف منه أكثر مما يحتاجه شرب الشاي أو القهوة ؟؟

لنقلدهم في ذلك مادامنا نعمن في تقليدهم في كل شيء !!

فهل يستقيم لنا الأمر ويتاح لنا أن نوجه هذه الجموع الحاشدة التي تضيق بها القهاري والتي تنفق وقتها عبثا ؟؟

أقول ... هل يتاح لنا رؤيتها وقد استعاضت عن ذلك بالتعليم والرياضة وبما يعود عليها وعلى الوطن بالنفع والخير ؟؟

وهل ترد الى بيوتنا بهجتها وأنسها برد الرجل يسمر فيها مع أفراد أسرته ؟؟

من يدري ... قل عسى أن يكون قريبًا ... !!

(دمهور) عبد المعطى المسيري